الفساد والمفسدون في ضوء القرآن الكريم

د. فائقة بنت حسن بن أحمد الحسني

جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين

مقدمــة:

الحمد لله الذي حسَّن خَلْقنا وأخلاقنا، وتعبدنا بعقيدة لا يزيغ عنها إلا هالك، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة والسلام علي مَنْ هدم عقيدة الشرك لفسادها، ودعا إلي حسن النية وحسن الخلق، وعلي آله وصحبه والتابعين وبعد:

فقد كان القرآن ـ وما زال إلى يوم الدين –هدي ووحي ونوربدد الله به كل مظاهر الشرك والفساد، وانحراف السلوك، وسوء الأخلاق، وضلال النية، بصوره وأشكاله ومظاهره المتعددة، سواء في ناحية الإيمان والاعتقاد، أو في ناحية التصور والمعايير، أو في ناحية الأخذ بالأسباب، أو في إنفاق المال، أو في الشعائر والعبادات، أو في المعاملات ، وقد طال الفساد بين الناس في اعتقادهم ، كما تطرق إلي السلوك والأخلاق، سواء أكان ذلك في المعاملات كنقض العهود، وقطع ما أمر الله بوصله، والعدوان، وأكل السحت، وعدم التناهي عن المنكرات، والعداوة والتباغض، وإشعال الحروب، أم كان ذلك الفساد في الشهوات والرغبات، وذلك كشهوة جمع المال من غير وجه حق، وكالشذوذ في الشهوة الجنسية، والغلو في شهوة المأكل والمسكن، وقهر الشعوب، وغيرها .

لذلك كانت هذه الدراسة لإظهار الفساد وصوره كما يعرضها ـ كتاب الله تعالي- القرآن الكريم، مع استعراض لفظة الفساد في السياق القرآني بين الآيات المكية والمدنية، وتنوع أسلوب القرآن الكريم ؛ ليبين مظاهر الفساد وصوره وأنواعه المختلفة ، وبيان بعض النماذج القرآنية للفساد والمفسدين ، وعاقبة الفساد والمفسدين في الدنيا والآخرة .

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد جعلته الباحثة في مقدمة – التي نحن بصددها ـ وخمسةمباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول: تعريف الفساد ، و يشمل على :.

المطلب الأول : الفساد في اللغة.

المطلب الثاني : الفساد في الاصطلاح.

المبحث الأول: تعريف الفساد لغة واصطلاحا

أولا: الفساد في اللغة:

الفساد ضد الصلاح، وله في لغة العرب معانٍ كثيرةٌ، منها: الفتق، والخلل، والاضطراب، والوصم، والخراب، والتدابر، وقطيعة الرحم، وأخذ المال ظلما، والتلف، والعطب، والجدب، والقحط، والابتداع، واللهو واللعب، والاستحالة، والتغير، والعفونة، والنتن، وغير ذلك [(1)].

وحده الجامع لتلك المعاني هو: خروج الشيء عما كان عليه من الاعتدال والسلامة، قليلا كان الخروج أو كثيرا [(2)]، وقال ابن عاشور: ((الفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرة وإن لم يكن فيه نفع من قبل))[(3)].

والمفسدة تطلق على الضرر، وعلى ما يؤدي إلى الفساد كاللهو واللعب، وقد تطلق على الإفساد، كما قال علي رضي الله عنه: "ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد"، يعني أن من كان في سفر وأضاع زاده، وأفسد الحال التي يعود إليها؛ فإنه أحمق فاسد العقل والإرادة، وهذا مثل ضربه للإنسان في حالتي دنياه وأخراه [(4)].

والإفساد: فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجعل، أي: جعل الأشياء فاسدة خارجة عما ينبغي أن تكون عليه وعن كونها منتفعا بها، وفي الحقيقة هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح [(5)].

ويطلق الفساد على الإفساد وإلحاق الضرر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((الفساد نوعان: لازم، وهو مصدر فسد يفسُد فساداً. ومتعدٍ، وهو اسم مصدر أفسد يفسد إفسادا))[(6)].

---

[1]- ينظر: "لسان العرب" لابن منظور لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، اعتناء وترتيب: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت ،ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ٢٦٠/١٠-٢٦١، القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت ،ط٨ ، ١٤٢٦هـ ، ص ٣٠٦، تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت ،ط٢ ، ١٤١٤هـ ،٤٩٦/٨-٤٩٨، ، و"المعجم الوسيط" الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٦٨٨، مادة (ف س د) .

[2] - ينظر: المفردات في غريب القرآن، تأليف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم دمشق ١٤١٢هـ ، ص ٦٣٦ .

[3] - التحرير والتنوير (تفسير)، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية تونس ١٩٨٤م ، ٢٨٤/١ .

٤- ينظر: شرح نهج البلاغة، تأليف: عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ،ط٢ ، ٩٧/١٦، ١٠٣ .

٥- ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور ٢٨٤/١.

والفساد يكون بالفعل والقول، ويستعمل في النفس والبدن، وفي الأشياء الخارجة عن الصلاحية والاستقامة[٧].

ويقال: فسد العقد أو العبادة: بطل، وفسد الرجل: جاوز الصواب والحكمة[٨]، وفسد العابد: ابتدع، وفسد العالم: لم يعمل بعلمه، وكان سفيان بن عيينة وغيره من السلف يقولون: ((إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى))[٩].

وفسدت الأمور: اضطربت وأدركها الخلل أو الخراب، ومنه قوله تعالى﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾الأنبياء: ٢٢، أي لفسدت السماوات والأرض في ذواتها، وفسد من كان فيهما، ولَمَا كانتا على هذا النظام البديع المحكم.

وفساد الدنيا: فوات صلاحها، وفساد الآخرة: فوات ثوابها، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما حين سألها الحجاج عن ولدها عبد الله بن الزبير: ((رأيتك أفسدتَّ عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك)) [١٠]، تعني بسبب قتله إياه.

وفساد الدين: خروجه عن الحالة التي يرضاها الله وتصلح لثوابه. وفساد الحياة: خروجها عن الهيئة المناسبة لمصالح العباد الدينية والدنيوية. وفساد الزمان: غلبة الخبث وكثرة المعاصي فيه حتى يألفها الناس، وتفسد بذلك أكثر طباعهم وآدابهم وأفكارهم، وتختل موازينهم وضوابطهم.

ثانيا: الفساد في الاصطلاح

يختلف الحد الاصطلاحي للفساد باختلاف الفنون، وباختلاف ما يوصف به.

- فعند علماء العقيدة: الفساد: هو العمل بالكفر وشعبه من جميع أجناس المعاصي القلبية والقولية والفعلية.

- وعند علماء التربية والسلوك: الفساد الخلقي: هو القول والفعل المنكر والسلوك غير الصالح، الذي لا يتفق مع شرع الله أمرا كان أو نهيا، ولا مع العقل والفطرة السليمة[١١].

٦- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، دار رمادي للنشر الدمام ١٤١٧ هـ، ٧٣٤/٣ .
٧ - ينظر: المفردات في غريب القرآن، تأليف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم دمشق ١٤١٢هـ، ص ٦٣٦ .
٨ - ينظر: "المعجم الوسيط" ص ٦٨٨ .
٩ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض ط ثانية ١٤١١هـ، ٦٧/١-٦٨ .
١٠ - جزء من قصة رواها الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٥٤٥) .

- وعند الفقهاء: الفساد في العبادات: خروجها عن الصلاحية للإجزاء والاعتداد. وفي المعاملات: خروجها عن الصلاحية لنفوذ العقد وترتب الأثر المقصود عليه.

- وعند الأصوليين: الفساد: مخالفة خطاب الشارع. وفساد الوضع: ألا يكون الدليل على الهيئة الصالحة لاعتباره في ترتيب الحكم، بأن كان صالحا لضد ذلك أو نحو ذلك. وفساد الاعتبار عندهم: مخالفة القياس لنص من كتاب أو سنة أو إجماع، وهو أعم من فساد الوضع.

- وعند الحكماء (الفلاسفة): الفساد: زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة.

- وفي البلاغة العربية: فساد التشبيه: ألا يوجد وجه شبه صحيح بين المشبه والمشبه به.

- وفي النقد الأدبي: الفساد: أن يورد الشاعر معاني بالإجمال، ويزيد فيها أو ينقص عند الشرح والتفصيل.

= ويلاحظ في كل التعاريف الاصطلاحية أن فيها التفاتا إلى المعنى اللغوي لمادة الفساد.

والفساد المذموم في القرآن - وهو موضوع البحث - هو المعرف عند علماء العقيدة وعلماء السلوك، الذي يشمل كل ما يخالف الصلاح ويتعارض مع الشرع، قال شيخ الإسلام: ((كل قول أو عمل يبغضه الله فهو من الفساد))[١٢].

---

١١ - الفساد الخلقي في المجتمع أسبابه آثاره علاجه في ضوء الإسلام، تأليف: د. ناصر بن عبد الله التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٢٣هـ ، ص١٧.

١٢ - "الصارم المسلول" لابن تيمية ٧٣٣/٣ .

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في بيان مظاهر الفساد

المطلب الأول : آيات الفساد والمفسدين

هناك قرابة الخمسين موضعاً وردت فيها كلمة الفساد ومشتقاتها في القرآن الكريم على النحو التالي :

البقرة:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾البقرة: ١١
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾البقرة: ١٢
- قَالَ تَعَالَىٰ: وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ٢٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ البقرة: ٣٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ البقرة: ٦٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٥
- قَالَ تَعَالَىٰ: وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ البقرة: ٢٢٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة: ٢٥١

آل عمران:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ آل عمران: ٦٣

المائدة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ﴾ المائدة: ٣٣
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة: ٦٤

الأعراف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ ﴾ الأعراف: ٥٦
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٧٤
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ﴾ الأعراف: ٨٥
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٣
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ الأعراف: ١٢٧
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٢

الأنفال:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾الأنفال: ٧٣

يونس:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٤٠
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٨١

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس: ٩١

هود:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ هود: ٨٥
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴾هود: ١١٦

يوسف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ يوسف: ٧٣

الرعد:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الرعد: ٢٥

النحل:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨

الإسراء:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ الإسراء: ٤

الكهف:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الكهف: ٩٤

الأنبياء:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ الأنبياء: ٢٢

المؤمنون :

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ المؤمنون: ٧١

الشعراء:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ الشعراء: ١٥٢
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ الشعراء: ١٨٣

النمل:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل: ١٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ النمل: ٣٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ النمل: ٤٨

القصص:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٤
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ القصص: ٨٣

العنكبوت:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٠
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ العنكبوت: ٣٦

الروم:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ الروم: ٤١

ص :

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ص: ٢٨

غافر:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ غافر: ٢٦

محمد:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ محمد: ٢٢

الفجر:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ الفجر: ١٢

المطلب الثاني : مدلول الآيات الكريمة كما وردت من ظاهر النص

أولاً: نجد أن هناك شبها تلازم في القرآن الكريم بين مصطلح (الفساد) وبين كلمة (الأرض)، وإذا قمنا بعملية إحصائية بسيطة، فسوف نجد أن الكتاب الحكيم استخدم كلمة (الفساد) وتصريفاتها بحدود خمسين مرة، وفي جميع هذه الاستخدامات كان يرد اسم الأرض أو إشارة إليها، ما عدا إحدى عشرة مرة لم يرد فيها ذكر الأرض؛ لأن الاستعمال كان في معرض وصف عمل المفسدين وعاقبته: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٣، أو في معرض الدعاء، أو في معرض بيان إحاطة العلم الإلهي: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٤٠، وتكرر هذا المقطع أكثر من مرة، فيكون الاستعمال الأكثر تكراراً.

وفي مختلف صور استعمال كلمة الفساد جاءت مقترنة بكلمة الأرض، وهو الغالب في الاستخدام القرآني، وجاءت مرة مقترنة بذكر البر والبحر، ومرة أضيفت السماوات إلى الأرض.

وبذلك يمكن القول: إن الاستعمال الغالب الذي به يمكن أن يشكل مصطلحاً قرآنياً ذا معنىً خاص ومضمون محدود، يمكن استكشافه من دراسة عموم الآيات وسياقها، التي ورد فيها ذكر الفساد مقترناً بكلمة الأرض، كما نلاحظ هذه المجموعة من الآيات: ﴿وَلَا

تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧،

﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ البقرة: ٦٠.

نخلص من هذا الاستعراض أن ذكر الأرض إشارة إلى عموم وسعة ما يشمله موضوع الفساد، فظاهرة الفساد التي يشير إليها القرآن الكريم ليست ظاهرة فردية أو شخصية، أو محدودة بمجتمع ضيق أو حالة معينة خاصة، بل هي ظاهرة تعم المجتمع الإنساني بغالبيته، فالمواضيع التي يطلق عليها القرآن الكريم مصطلح الفساد، تشمل الظواهر الإنسانية العامة والواسعة التي يصح إطلاق (الفساد في الأرض) عليها.

ثانياً: كما استخدمت الآيات الكريمة لفظ الفساد أو المفسدين بمعانٍ متعددة ، منها:

حكاية عن ألسنة الظالمين(أتباع فرعون) في وصفهم لأتباع موسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٢٧ ، فيريدون بالإفساد في الأرض عبادة الله وحده التي تودي بطغيانهم وطغيان فرعون.

ومنها : قد يأتي مصطلح الفساد وصفاً للطغاة المتعالين والمتسلطين على الناس بغير حق وهذا يعني الظلم والعدوان.

ومنها : قد يعبر به عن التحذير من عمل يفض إلى الفساد ن كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ الأنفال: ٧٣ ، فقد حثت الآية المؤمنين على موالات بعضهم بعضاً والمعنى إن توالوا بعضكم بعضاً أيها المؤمنون تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

ومنها : تهديد الحياة الآمنة وإخافة الآمنين بقطع الطريق عليهم ، أو إراقة الدماء ، ونهب الأموال كما هو شأن العصابات الإجرامية والأرهابية ، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

ومنها: سفك الدماء وانتهاك العرض كما فعل فرعون وتجاوزه الحد واسترقاقه للنساء وذبحه للأولاد .

ومنها : آيات عديدةتذكر الفساد والمفسدين مقابلاً للإصلاح و المصلحين كقوله تعالى :﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف:٥٦.

وقوله تعالى﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾الأعراف: ٨٥.

ومنها: بمعنى القطيعة ، أي: قطيعة الأرحام والتدابر بين المسلمين ، وقطع كل ما أمر الله به أن يوصل ، كقوله تعالى :
﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾الرعد: ٢٥.

ومنها : الطغيان كما جاء في وصف آل فرعون ؛ فالطغيان يفسد الطاغية كما يفسد مناحي الحياة المتعددة ، كقوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ الفجر: ١١ – ١٢.

فمدلول الفساد والمفسدين في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره ،فالله سبحانه وتعالى جعل كل أنواع المعاصي فساداً في الأرض.

المبحث الثالث : أسلوب القرآن في بيان مظاهر الفساد والمفسدين

إن الله تعالى خلق الإنسان لمقصد سامٍ عظيم، قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾الذاريات: ٥٦، وخلق له ما في الأرض جميعا صالحا ليستعين به على بلوغ غايته، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٩، فعدم قيام العبد بمطلوب سيده خروج منه عن استقامته، وذلك هو عين الفساد، وسلوكه غير السبيل المرسوم له هو الفساد العظيم، واستخدامه ما أتاح له سيده من الوسائل في غير المقصد المطلوب سفه وفساد.

قال أبو العالية الرياحي: ((من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة))، وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة(١٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((عامة ما ذكر في القرآن من السعي في الأرض فسادا، والإفساد في الأرض؛ فإنه قد عني به إفساد الدين))(١٤).

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾النحل: ٨٨، فذكر الله سبحانه أن الكفر به والصدّ عن سبيله إفساد يُستحق به أشد العذاب.

وقال تعالى عن عاد وثمود وفرعون﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾الفجر: ١١ ـ ١٢، يعني الشرك والظلم والعصيان.

ولقد تنوع أسلوب القرآن الكريم اللغويلبيان مظاهر الفساد على النحو التالي:

---

١٣ ـ تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار القبلة ، جدة، ١٤١٩هـ ، ١/ ٢٢٢ .

١٤ ـ "الصارم المسلول لابن تيمية " ٣/ ٧٣٥ .

المطلب الأول:الاستفهام

الاستفهام في اللغة:"استفهمه سأل أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء ففهمته تفهيما"[١٥]. أي أن الاستفهام في أصل اللغة هو طلب الفهم .

أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء تعريفات متقاربة ، وهو لا يخرج عن معناه اللغوي وهو طلب الفهم[١٦].

والاستفهام له الصدارة في الكلام ، قال ابن يعيش " إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية فنقلها من الخبر إلى الاستخبار فوجب أن يكون متقدما عليها ليفيد ذلك المعنى فيها "[١٧]

والأصل في أدوات الاستفهام لا يليها إلاَّ الفعل ؛ وذلك لأن سياق الجملة الاستفهامية سياق فعلي؛ لأن الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه فهو في حقيقته سؤال عن الفعل ، وأنت إذ تستفهم فإنما تستفهم عما تشك فيهوتجهله وإنما يقع الشك في الفعل ، وأما الاسم فمعلوم[١٨]

ومجيء الجملة الاسمية مبتدئة باسم يليه فعل بعد حروف الاستفهام ، يُعدُّ من الضرورات التي لا تجوز إلاَّ في الشعر، ومنهم من جوَّزه[١٩] .

أغراض الاستفهام :

الغرض الأصلي للاستفهام كما سبق ، هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب ، إلا أن الاستفهام قد يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من خلال السياق ، ومنها : الإنكار والتشويق والتقرير والتمني والاستبطاء والتهويل والتعظيم ... ، وكذلك التعجب والتقريع والتحسر والتوجع والتحقير وغير ذلك ...إلخ[٢٠]

---

١٥ - لسان العرب ،لابن منظور مادة (فهم) ، ٣٥٨/١٥
١٦ - ابن يعيش ، شرح المفصل ١٥٠/٨ ، ومغني اللبيب ١٣/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٧٥/٢ .
١٧ - شرح المفصل موفق الدين بن يعيش ، ط٦ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت ١٥٥/٨.
١٨ - المصدر نفسه ، ١٥٠/٨ ،
١٩ - المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبوالعباس ، المعروف بالمبرد ، ت: محمد عبد الخالق عضيمة ، ط١ ، عالم الكتب – بيروت ، ٢٠٠١م ٧٥/٢ .
٢٠ - أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، دمشق ، مطبعة الشام ، عبد الكريم محمد يوسف ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص ١٧ :١٨ .

واستُخدم الاستفهام الإنكاري في القرآن الكريم ليكون أبلغ خطاب للرد على الفساد والمفسدين على النحو التالي :

- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾البقرة: ٣٠.

سألت الملائكة ربهم على وجه التعجب والاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة في خلق من سيعمل الإفساد في الأرض، مع أنهم قائمون بالعبادة على وجه خالٍ من المفسدة. والنص على سفك الدماء بعد ذكر الإفساد الشامل لأنواع المعاصي؛ تخصيص بعد تعميم؛ لبيان شدة مفسدة القتل والاعتداء، ويوضح هذا قوله تعالى بعدما قص عن أول قتل وقع في

الأرض:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾المائدة: ٣٢.

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾محمد: ٢٢.

والسؤال :" فلعلكم،إِنْ تَوَلَّيْتُمْ و أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه،أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، وتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام[٢١].

٢١ ـ معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، ط٤ ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م ، ٢٨٧/٧ .

المطلب الثاني: أسلوب النهي

النهي لغة : النهي في اللغة مصدر نهى : إذا زجره وكفه[٢٢].

اصطلاحاً : طلب الكف عن الفعل ، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم[٢٣].

وقد تخرج صيغة "لا تفعل" عن دلالتها الأصلية فتفيد معاني متنوعة تستفاد من السياق بمعونة القرائن وأحوال التراكيب .

فالنهي كصنوه الأمر من أوائل الأساليب التي تنبه العلماء إلى خروجه عن دلالته الأصلية إلى معانٍ متنوعة إهتداءً بالمقام وقرائن الأحوال ومنها.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾الشعراء: ١٨٣.

إن النهي قد كان عن نقص حجم المكيال وصنجات الميزان والأمر بإيفاء المكيال والميزان حقهما بأن لا ينقص في الكيل والوزن وهذا الأمر بعد مساواة المكيال والميزان للمعهود فلا تكرار كيف ولو كان تكريرا للتأكيد والمبالغة لم يكن موضع الواو لكمال الإتصال بين الجملتين[٢٤].فجعل نبي الله شعيب الغش من أعظم الفساد، وكذلك أنواع الظلم والاعتداء على الغير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾القصص: ٧٧.

وقد جاء النهي " للتحذير من خلط الاحسان بالفساد ؛ فالأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الفساد ، وإنما نص عليه ؛ لأنه لما تعددت موارد الإحسان والإساءة فقد يغيب عن الذهن أن الإساءة إلى شيء مع الإحسان إلى أشياء يعتبر غير إحسان "[٢٥].

---

٢٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٤هـ ، ٧٦٧/٢ .
٢٣ ـ انظر شروح التلخيص ٣٢٤/٢ .
٢٤ ـ روح المعاني ١١٤/١٢ .
٢٥ ـ التحرير والتنوير لابن عاشور ٣١٦٦/١ .

المطلب الثالث : أسلوب الشرط

الشرط لغة: قال ابن فارس: " الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة"[٢٦]، وهو إلزام الشيء وإلتزامه في البيع ونحوه ، وللجمع شرط وشرائط ، وقيل : الشرط تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني"[٢٧] .

الشرط اصطلاحاً : الشرط :" هو وقوع الشيء لوقوع غيره "[٢٨] ، فهو أسلوب يدل على تلازم جملتين ، وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط ، وتعتبر الجملة الشرطية من الجمل المركبة المكونة من اسنادين مرتبط أحدهما بالآخر ، ويتوقف عليه ، ويسمى المركب الأول صدر جملة الشرط ، والمركب الثاني عجز حملة الشرط ، والارتباط بين المركبين يعتمد أداة تكون علاقة بين مركبين .

إذن فالجملة الشرطية هي كلام لا يستغني بعضه عن بعض .

وقد عبر سيبويه عن الجملة الشرطية بمصطلح الجزاء حيث قال :" هذا باب الجزاء "[٢٩]وتبعه المبرد في ذلك حيث قال :" المجازاة وحروفها"[٣٠]وهذا يدل على أن مصطلح الجزاء أقدم من مصطلح الشرط .

أدوات الشرط :

أدوات الشرط هي كلمات وضعت لتعليق جملة بجملة ، وتكون الأولى سبباً والثانية متسبباً ، ولذلك يجب استقبال الفعلين بعدها ؛ لأن أدوات الشرط من شأنها أن تنقل الماضي إلى الاستقبال ، وتخلص المضارع له .

وقد قسم ابن هشام الأدوات إلى عاملة(جازمة) ...، وغير عاملة (غير جازمة)..."[٣١].

---

٢٦ ـ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ، ٣/ ٢٦٠ .

٢٧ ـ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، ط١، ٧/ ٣٢٩ .

٢٨- كتاب المقتضب صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت / أ . د محمد عبدالخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م ، ٤٦/٢ .

٢٩ ـ الكتاب ، ٥٦/٣ .

٣٠ ـ المقتضب ، ٤٦/٢ .

٣١ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ومعه كتاب عُدَّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الطلائع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٥/٤ .

وقد تناولت كثير من الآيات أسلوب الشرط في معرض تناول الفساد والمفسدينعلى النحو التاليومنها :

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾النمل: ٣٤.

والشرط هنا للتحذير ؛ حيث حذرت بلقيس قومها من دخول سليمان لمملكتها قائلة :" (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) أي : عنوة، (أَفْسَدُوهَا)أي : خربوها، (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) أي: أهانوا أشرافها وكبراءها، كي يستقيم لهم الأمر، تحذِّرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها هاهنا، فصدق الله قولها فقال: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أي: كما قالت هي يفعلون" (٣٢).

أي أن :دخول الملوكللقرى يكون إفسادها بالقتل والأسر ونهب الأموال وتخريب الديار وسلب الإمارة، وصدّقها الله عز وجلّ بالجملة الأخيرة.

- قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾آل عمران: ٦٣

والشرط هنا يظهر أن من مظاهر الفساد التولي عن الحقوالمعنى "فإن تولوا"، يعني: فإن أدبر هؤلاء الذين حاجوك في عيسى، عما جاءك من الحق من عند ربك في عيسى وغيره من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان، فأعرضوا عنه ولم يقبلوه "فإن الله عليم بالمفسدين"، يقول: فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم، ويعملون في أرضه وبلاده بما نهاهم عنه، وذلك هو إفسادهم"(٣٣).

أي: أن الله عالم بهم وبأعمالهم، يحصيها عليهم ويحفظها، حتى يجازيهم عليها جزاءهم.

---

٣٢ ـ معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤ ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م ، ١٥٩/٦ .

٣٣ ـ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ، ت.أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، ٤٧٦/٦ .

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾المؤمنون:٧١

والشرط هنا لبيان فساد أهوائهم والمعنى :" أي لو كان ما جاء به الرسول من الإسلام والتوحيد متبعاً أهواءهم لانقلب شراً وجاء الله بالقيامة وأهلك العالم ولم يؤخر ...، وقيل : دل بهذا على عظم شأن الحق ، فلو (اتبع أهواءهم) ؛ لانقلب باطلاً ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام . وقيل : لو كان ما جاء به الرسول بحكم هوى هؤلاء من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك حقاً لم يكن لله الصفات العلية ولم تكن له القدرة كما هي ، وكان في ذلك فساد السموات والأرض . وقيل : كانوا يرون الحق في اتخاذ الآلهة مع الله لكنه لم يصح ذلك لوقع الفساد في السموات والأرض على ما قرر في دليل التمانع في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا) وقيل : كانت آراؤهم متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض واختل نظام العالم "[٣٤].

المطلب الرابع: أسلوب التوكيد

التوكيد لغة : هو تمكين المعنى في النفس وتقويته ، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد إلى الكلام ..

وفي الاصطلاح : " واستعمل التوكيد عند النحاة في التابع ، وهو نوعان : لفظي ومعنوي ، والمعنوي : هو التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر ، وله ألفاظ مخصوصة دُونت في كتب النحو، وقُسمت طرق التوكيد إلى أربعة طرق **:** التكرار والتوكيد بالأداة وبحرف الجر والتوكيد بغير أداة كالتقديم والتأخير...، **"**[٣٥]**.**

• قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ غافر: ٢٦

فقد استخدم فرعون ـ لعنه الله – أسلوب التوكيد ليبرر به قتل موسى – عليه السلام ـ أي: " دعوني حتى أقتل لكم هذا، (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) أي: لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد ، يعني: موسى، يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغير رسومهم

---

٣٤ ـ تفسير البحر المحيط ، ، العلامة أبو حيان الأندلسي، دار الفكر ، ط١ ، ٨/ ٢٧٠ .
٣٥ ـ أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، محمد حسين أبو الفتوح ، مكتبة لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ١٣

وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل: "صار فرعون مُذَكِّرًا" يعني: واعظا، يشفق على الناس من موسى، عليه السلام"[٣٦].

- ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾البقرة: ١٢

والتوكيد في الآية الكريمة يفيد:"أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادا، والمعاني التي جعلها الله إصلاحا"[٣٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ ﴾المائدة: ٣٣

والتوكيد هنا لبيان نوع من أنواع الفساد الذي يستحق عليه القتل :" فلما بين سبحانه عظم شأن القتل استأنف بيان حكم نوع من أنواع القتل ومايتعلق به من الفساد بأخذ المال ونظائره وتعيين موجبه وأدرج فيه بيان ماأشير اليه إجمالا من الفساد المبيح للقتل فقال جل شأنه إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ذهب أكثر المفسرين ..، وعليه جملة الفقهاء إلى أنها نزلت فى قطاع الطريق والكلام ...، على حذف مضاف أى يحاربون أولياء الله تعالى ورسوله عليه الصلاة و السلام فهو كقوله تعالى : إن الذين يؤذون الله ورسوله ، ويدل على ذلك أنهم لو حاربوا رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم-لكانوا مرتدين باظهار محاربته ومخالفته عليه الصلاة و السلام .

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾يونس: ٨١

والتوكيد لخسران فرعون وسحرته فقد :" ذكر تعالىقصة السحرة مع موسى، عليه السلام، في سورة الأعراف،وفي هذه السورة، وفي سورة طه، وفي الشعراء؛ وذلك أن فرعون -لعنه الله -أراد أن يَتَهَرَّج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى، عليه السلام، من الحق المبين، بزخارفالسحرة والمشعوذين، فانعكَس عليه النظام، ولم يحصل له ذلك

---

٣٦ ـ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ت: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م ، ٧/ ١٣٨ .
٣٧ ـ الطبري ، ٧٥/١ .

المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام،...، فظن فرعون أنه يستنصر بالسحَّر، على رسول عالم الأسرار، فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار[٣٨].

المبحث الرابع : نماذج قرآنية للفساد والمفسدين

المطلب الأول: فرعون

ورد ذكر اسم "فرعون" في القرآن صراحة(٧١)مرة في(٢٧)سورة ، على النحو التالي:

٩ مرات في سورة الأعراف.
٨ مرات في سورة غافر.
٧ مرات في سورة القصص.
٦ مرات في سورة يونس.
٥ مرات في سورتي طه والشعراء.
٣ مرات في سورتي الأنفال وهود.
٢ (مرتين) في ست سور : الدخان، الإسراء، التحريم، المزمل، البقرة والزخرف.
١ (مرة واحدة) في ثلاث عشرة سورة : البروج، القمر، المؤمنون، النمل، الذاريات، إبراهيم، آل عمران، الحاقة والنازعات، العنكبوت، الفجر، ص وق.ومنها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾القصص: ٤

إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها – بني إسرائيل - وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودية.

وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم. هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكُدُّهُم ليلا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه...،

٣٨ ـ تفسير القرآن العظيم ، ٢٨٧/٤ .

أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزاته إليه ؛ فقالوا له: تعلم أنا نجد في علمنا أن مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيهيسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك من أرضك، ويبدل دينك. فلما قالوا له ذلك، أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان، وأمر بالنساء يستحيين. فجمع القوابل من نساء مملكته، فقال لهن: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتنه. فكن يفعلن ذلك، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان، ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن.[٣٩].

وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها، بقدرته وسلطانه. فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته مَن يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب؛ ولهذا قال: (**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**) . وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال: (**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**) الأعراف : ١٣٧وقال: (**كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**) الشعراء : ٥٩، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قَدَر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القِدَم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه، وحتفك، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٣٩ - جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ،المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٤٤/٢ .

وقيل : أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل، خافت القبط أن يُفْني بني إسرائيلفَيَلُون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة. فقالوا لفرعون: إنه يوشك -إن استمر هذا الحال -أن يموت شيوخهم، وغلمانهم لا يعيشون، ونساؤهم لا يمكن أن يَقُمْن بما يقوم به رجالهم من الأعمال، فيخلص إلينا ذلك. فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون، عليه السلام، في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى، عليه السلام، في السنة التي يقتلون فيها الولدان[٤٠].

.قصة فرعون :

والحكمة في قصةفرعون في القرآن جاءت في القرآن نفسه واضحة في بداية سورة القصص:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ القصص: ١-٣، ثم يأتي بعد ذلك البيان، لماذا اختار القرآن قصة فرعون، والجواب واضح في الآية: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾القصص: ٤.

والفرعون هو لقب كان يُطلق على ملك مصر القديمة، وبالمثل كان يُطلق لقب كسرى على ملك الفُرس، ولكن الفرعون المشهور وقصَّته المعروفة هو الذي كان في زمن موسى عليه السَّلام، فما أن يُذكر اسم فرعون إلا ويأتي معه ذكر موسى عليه السَّلام؛ ولذلك لا يمكن ذِكر قصة فرعون من غير ذكر سيدنا موسى عليه السلام، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون يدعوه إلى أن يعبد الله وحده.

كان فرعون يملك مصر التي كان يعيش بها شعبان، أمَّةُ الأقباط وهم الذين كان منهم فرعون وبيدهم الحكم وملك مصر، وأمَّة بني إسرائيل الذين كان منهم نبيُّ الله موسى عليه السلام، حيث إنهم كانوا مهانين وعبارةً عن عبيد لفرعون وقومه .وفي ذات ليلة رأى فرعون في منامه أن ناراً أقبلت من جهةِ بيت المقدس تحرق بيوت الأقباط في مصر، ولم تلمس هذه النار بني إسرائيل، فلما استيقظ خاف مما رأى في منامه، فجمع السَّحرةَ والكهنة ليسألهم عن تفسير ما رأى، فقالوا له إنّ غلاماً يولد من بني إسرائيل، يكون على

٤٠ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ،٢٢٠/٦

يديه هلاك مُلك مصر، ويأخذ هو الملك، فعندها قرَّر فرعون قتل كل مولودٍ ذَكَر من بني إسرائيل .فاستمرَّ فرعون بقتل أبناء بني إسرائيل، ونشر الجنود والقوابل ليحدِّدوا من كانت حبلى في بني إسرائيل، حتى إذا وضعت جاؤوا وقتلوا الغلام من أول يوم، وإن كانت بنتاً تركوها ولم يلمسوها، وبعد فترةٍ من هذا العمل الرهيب، جاء الأقباط إلى فرعون يشكون قلَّة الرجال في بني إسرائيل، لأن الولدان يُقتلون والكبار يموتون، فخافوا ألا يبقى رجال يقومون بالأعمال الصعبة والبدنيَّة في بني إسرائيل، فأصدر فرعون قراراً بأن يُقتل الأطفال في عام، ويُتركوا في عامٍ آخر....(٤١).

ومن فساد فرعون إفساده لقومه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾الزخرف: ٥٤ -

والمعنى: فاستخف فرعون خلقا من قومه من القبط، بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قال لهم﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾النازعات: ٢٤، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه، وكذبواموسى، قال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدو الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم(٤٢).

ولقد كان فرعون إنما يستمد هيبته وسلطانه من الديانة التي تعبد فيها هذه الآلهة . . ."بزعم أنه الابن الحبيب لهذه الآلهة! وهي بنوة ليست حسية! فلقد كان الناس يعرفون جيداً أن الفرعون مولود من أب وأم بشريين . إنما كانت بنوة رمزية يستمد منها سلطانه وحاكميته . فإذا عبد موسى وقومه رب العالمين ، وتركوا هذه الآلهة التي يعبدها المصريون ، فمعنى هذا هو تحطيم الأساس الذي يستمد منه فرعون سلطانه الروحي على شعبه المستخف؛ الذي إنما يطيعه لأنه هو كذلك فاسق عن دين الله الصحيح . . .، فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه ، لو لم

٤١ - ينظر القصة كاملة : تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ،٢٢٠/٦: ٢٤٦ (بتصرف).

٤٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ، المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٦٢١/٢١ .

يكونوا فاسقين عن دين الله . فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت ، ولا يمكن أن يطيع له أمراً ، وهو يعلم أن هذا الأمر ليس من شرع الله . . ومن هنا كان يجيء التهديد لنظام حكم فرعون كله بدعوة موسى - عليه السلام - إلى « رب العالمين » وإيمان السحرة بهذا الدين ، وإيمان طائفة من قوم موسى كذلك وعبادتهم لرب العالمين [٤٣].

المطلب الثاني: قارون

ورد ذكر قارون في سورة العنكبوت، وسورة غافر، وورد ذكر قصته بتفصيل أكثر في سورة القصصالآيات ٧٦-٨٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٦ – ٧٧.

إن قارون - وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب-كان من قوم موسى بن عمران النبي ﷺ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث...،وقيل : أن يصهر بن قاهث تزوج سميتبنت بتاويت بن بركنا بن بقشان بن إبراهيم، فولدت له عمران بن يصهر، وقارون بن يصهر، فنكح عمران بخنت بنت شمويل بن بركنا بن بقشان بن بركنا، فولدت له هارون بن عمران، وموسى بن عمران صفي الله ونبيه؛ فموسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخي قارون، وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه ولأمه[٤٤].

وقال ابن إسحاق : كان قارون عم موسى كان أخا عمران ، وهما ابنا يصهر ، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون ، ولكنه نافق كما نافق السامري ، (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) ، وقيل : كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل ، فكان يبغي عليهم ويظلمهم ،

---

[٤٣] - في ظلال القرآن ، ٢٧٦/٣ .
٤٤ - الطبري ٦١٩/١٩

وقال قتادة : بغى عليهم بكثرة المال ، وقال الضحاك : بغى عليهم بالشرك ، وقيل : بغى عليهم بالكبر والعلو [٤٥].

ويحدثنا القرآن الكريمعن كنوز قارون فيخبر سبحانه وتعالى أن مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها علي مجموعة من الرجال الأشداء. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟! لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه اللهالثراء. ولا يذكر القرآنفيم كان البغي، ليدعه مجهولا يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم. وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال. حق الفقراء في أموال الأغنياء. وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم .فحذروه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلي نسيان من هو المنعم بهذا المال، ونصحوه بأن يعمل لآخرتهبهذا المالولا يقتصر علي نيل الشهوات في الدنيابل ينفق لآخرتهولا ينسى التمتع في الدنيابغير إضرار للدينوالآخرة .ويذكرونه بأن هذا المالهبة من اللهوإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتي يرد الإحسان بالإحسان. وحذروه من الفساد في الأرض، بالبغي، والظلم، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المالفي غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه .فاللهلا يحب المفسدين.

فكان رد قارون جملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المالوأعماه الثراء. فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب اللهخير من هذه الزينة، وما عند اللهخير مما عند قارون.

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغراءها، وتحطم الغرور والكبرياء،

---

٤٥ ـ مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط١ ، دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤١٦هـ ، ١٠٠/٦ .

فيجيء العقاب حاسما(فخسفنا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرضوابتلعت داره[٤٦].

المطلب الثالث: اليهود

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾الإسراء: ٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾المائدة: ٦٤

فالأمة اليهودية من الأمم الباقية إلى يوم القيامة، كما أشار القرآن الكريم ، ويلحظ في هذه الأمة أنها أمة متمزقة مشحونة بالعداوات والبغضاء، وما يستتبع ذلك من أحقاد وتآمر فيما بينهم. هذا هو الذي يقرره القرآن بحق هذه الأمة، فإذا وجدنا حالة من التماسك والانسجام فيها، فإنها تمثل حالة طارئة سرعان ما سوف ترجع إلى حالة العداوة والبغضاء.

هذه الأمة التي تعيش حالة العداوة فيما بينها، تعيش مع الآخرين حالة العدوان والحرب وتجاوز الحقوق والحدود، فهم يسعون للاعتداء ويؤججون نار الحرب، ويقرعون طبولها ، لكنهم غير قادرين على الاستمرار لنهايتها، وينكصون في نصف الطريق، وقد تكون هذه العداوة والبغضاء سبباً لانطفاء نار تأجيجهم للحروب.

فهذه الأمة بهذه المواصفات أمة متمزقة تسود العداوة والبغضاء ما بين أبنائها، أمة نزاعة للحرب والاعتداء على الآخرين، هذه الأمة لا يمكن أن تكون إلاّ أمة فاسدة ومفسدة في الأرض. أمة تثير الحروب وتمزق الروابط وتعتدي على الحقوق ولا تلتزم بالمواثيق. أمة متآمرة حاقدة. هذه الأمة المفسدة ستتمكن من القدرة، وسينال فسادها وإيذائها

---

٤٦ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط٢ ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م ،٢٥٤/٦ : ٢٥٨ . (بتصرف).

الآخرين. ستعلو وستحول الأرض إلى صراعات وحروب وتآمر. وشاء الله أن تكون هذه الأمة المفسدة المملوءة عداوة وبغضاء، والساعية إلى التدمير والاعتداء، هي التي تواجه الأمة الناجية والصالحة، وتناصبها العداء، وتحوك ضدها المؤامرات، وتسعى لنقض عهودها معها. هذه الأمة هي التي ستقف لصد نور الحق والعدل والصلاح على الأرض ما دام وجودها قائماً.

أمة اليهود أمة فاسدة ومفسدة في الأرض، والله لا يحب المفسدين، فلا يكتب لها النجاح في فسادها، ولا توفق في تحقيق أهدافها، ولن تفلح في الوصول إلى مراميها؛ لأنها ليست مع الفطرة ولا مع السنة الإلهية، ولأنها عقبة في طريق التكامل، فلابد أن يتم تجاوزها فالله لا يحب المفسدين.

والنتيجة التي نخلص إليها بهذا الصدد هي أن الفساد في الأرض المنسوب إلى اليهود، الذي تشير إليه هاتان الآيتان، ينسجم في معناه مع الاتجاه العام الذي يتضمنه معنى الفساد في الأرض، من مجمل آيات الكتاب الكريم. إنه نقض العهود والمواثيق، والاعتداء على حقوق الآخرين ومصالحهم.

المبحث الخامس: عاقبة الفساد والمفسدين في القرآن الكريم

إن ممارسة الفساد طريق الهلاك وفناء الحضارات، وهو أيضا جريمة يعاقب الله عليها بعقاب عاجل أو آجل، شرعي أو قدري، نفسي وجسدي واجتماعي.

المطلب الأول: الحرمان من نعم الله

ونِعم الله الكثيرة كالرخاء والعزة ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة لا يحرمها العبد إلا بفساده، ولا تزول عنه حتى يخرج عن الصلاح لها، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ الأنفال: ٥٣ ،وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾الرعد: ١١.

وكان الصالحون يرون أن ما يصيبهم من أذى ولو قلّ؛ أنه بسبب فساد وقع منهم، ورجع إبراهيم بن أحمد الخواص إلى مسجده يوما، فلما جلس سئل عن خروجه في أول مرة ورجوعه، ثم خروجه في الثانية، وما كان من أمر الكلب.

فقال: "نعم، إنما نبح عليّ الكلب لفساد كان قد دخل عليّ في عقد بيني وبين الله، لم أنتبه له في الوقت، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته فاستغفرت الله عز وجل منه، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كل من خرج لإزالة منكر فتحرّك عليه شيء من المخلوقات فلفساد عقدٍ بينه وبين الله عز وجل، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شيء "[٤٧].

المطلب الثاني: الهلاك والدمار

وكل هلاك ودمار واقع في الأرض فإنما هو بسبب فساد الإنسان، قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾هود: ١١٧.

وقال تعالى:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾البقرة: ٢٠٥.

فهذا العبد أفسد نفسه بعصيانه لسيده، وأفسد بفساده ما في الأرض جميعا؛ فالحرث نتاج الأرض من الزروع والحبوب والثمار، والنسل نتاج الحيوان والناس، وإهلاكه لهم إما مباشرة كالقتل والتخريب، أو التسبب كنزول الجدب والبلايا بمعاصيه، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " إنه لا يبقى مع الفساد شيء، ولا يقل مع الإصلاح شيء "[٤٨]، وهذا أثر فساده في غيره، أما في نفسه فعذاب دائم، وهمّ لا ينقطع، ويأس مستمر، فالاستمرار على المعاصي يفسد الدين والدنيا.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا): " وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أنّ العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصّص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض "[٤٩]، وقال القرطبي: " والآية

---

٤٧ - "صفة الصفوة" لابن الجوزي ١٠١/٤ .
٤٨ - "شرح نهج البلاغة" لابن أبي الحديد ٦٩/١٢ . وقال الشاعر وهو المتلمّس الضبعي :
وإصلاحُ القليل يزيدُ فيه ... ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
٤٩ - "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ٢٣٩/٤ .

بعمومها تضمّ كلّ فساد في أرض أو مال أو دين "[٥٠]، وقال: " والسعي في الأرض: المشي بسرعة، وهذه عبارة عن إيقاع الفتنة والتضريب بين الناس "[٥١].

وفي الآية نعي على الذين يخادعون الناس ويتخذون الدين مطية للإفساد في الأرض، ثم إذا نهوا عنه أنفوا وتكبروا عن الحق، أو يستعملونه للوصول إلى مطلب دنيوي وتحقيق شهوة خفية حتى إذا ظفروا ببغيتهم أدبروا عن الدين وتنكّسوا السنة.

كم من مفسد يدّعي الإصلاح! و يعجبك قوله ونداءاته، وأنه يريد الإصلاح، وأن مبادئه مبادئ الخير، وأنه يريد إنقاذ البشرية من ضلالها وهداية الشباب من غوايتهم، بأي شيء؟ بأن يقول: اقتلوا الأبرياء، اسفكوا الدماء، دمّروا الممتلكات، روّعوا الآمنين، إلى غير ذلك من آرائهم الشاطة، "نعم، نحن نريد الإصلاح، لكن أي إصلاح؟ قتل المسلم بغير حق ليس إصلاحا، تدمير أموال الأمة ليس إصلاحا، إخافة الآمنين ليس إصلاحا، وضع أيديكم بأيدي الأعداء المتربصين بالأمة بأي سبيل، وعلى أي منهج؛ ليس إصلاحا، هذا عين الفساد وعين الضلال"[٥٢].

يدّعون إزالة الفساد، وقد يكون الفساد موجودا بالفعل، لكنّ ما يكون على أيديهم من الفساد أعظم، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " ولم يكن الفساد سلّما إلى صلاح قط "[٥٣].

ومعلوم أنه "لا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين؛ فان الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان"[٥٤]، بل " إن النبي – ﷺ-حرم أشياء مما يخفى فيها الفساد؛ لإفضائها إلى الفساد المحقق "[٥٥].

ومن القواعد الشرعية أن "ما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط علق الحكم به وأدير التحريم عليه "[٥٦]، ومثّل له شيخ الإسلام بالتشبه بالكفار، وقال: " مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس

٥٠ - "الجامع لأحكام القرآن" ٣٨٧/٣ .
٥١ - المصدر نفسه ٣٨٦/٣ .
٥٢ - المصدر السابق ص ٢٦ .
٥٣ - "شرح نهج البلاغة" ١٣٠/١٧ .
٥٤ - "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٣٤٣/٢٣ .
٥٥ - المصدرنفسه ٢٤/٢٩ .
٥٦ - "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" ٤٨٨/١ .

الاعتقادات. وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله لو تفطن له، وكل ما كان سببا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة " (٥٧).

المطلب الثالث: الشقاء في الدنيا والآخرة

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾الرعد: ٢٥ ، فالفساد سبب لشقاوة الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وجماع الصلاح للآدميين هو طاعة الله ورسوله، وهو فعل ما ينفعهم وترك ما يضرهم، والفساد بالعكس، فصلاح الشيء هو حصول كماله الذي به تحصل سعادته، وفساده بالعكس "(٥٨).

ووصف الله الفاسقين بأنهم يفسدون في الأرض(٥٩)؛ وذلك أن كل فسق يعمله المرء فهو فساد لدينه ودنياه، ويؤدي إلى فساد دين غيره ودنياه.

وقال تعالى في الكفار: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾المؤمنون: ٧١، وذلك لأن أهواءهم متعلقة بالظلم والفساد في الأعمال والأخلاق، ولو انقادت لهم الأمور لفسدت الدنيا؛ لفساد تصرفهم المبني على الهوى والشهوة، والسماء والأرض ما قامتا إلا بالعدل والحق والإصلاح.

ونبي الله شعيب عليه السلام نهى قومه عن الفساد بأنواعه، وذكّرهم بنعم الله، ثم دعاهم إلى الاعتبار بسابقة المفسدين فقال:﴿ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾الأعراف: ٨٦، قال السعدي: " فإنكم لا تجدون في جموعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة

---

٥٧ ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
٥٨ ـ "درء تعارض العقل والنقل" ٣٧٢/٩ .
٥٩ ـ في سورة البقرة ، الآية : ٢٧ .

والانبتات، ولم يورثوا ذكرا حسنا، بل [انقلبت نعمهم نقما، و]أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزيا وفضيحة "[٦٠].

وكلما اشتد فساد الإنسان وكثر؛ ساءت عاقبته واشتد عقابه، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨، وهذا من حكمة الله وعدله؛ أنه لا يسوّي بين الغارقين في الفساد والإفساد وبين من وقعوا في بعضه، كما أنه لا يسوّي بين المفسدين وبين المصلحين، قال تعالى:﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ ص:٢٨، أي ليس ذلك بلائق بحكمة الألوهية وعدل الربوبية.

المطلب الرابع :إبطال العملوخيبة الأمل

ومن عاقبة المفسدين أن الله يبطل أعمالهم ويخيّب آمالهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس: ٨١،قال السعدي: "كل مفسد عمل عملا واحتال كيدا أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق، وأما المصلحون الذين قصدُهم بأعمالهم وجهُ الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها؛ فإن الله يصلح أعمالهم ويرقّيها وينمّيها على الدوام "[٦١].

ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾محمد: ٢٠ - ٢١، فذكر تعالى أن الإعراض عن امتثال شرعه يفضي إلى الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام، ومن ثَمَّ ينزل عقاب الله الأليم.

---

٦٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتناء: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي الدمام ط ثانية ١٤٢٦.، ص ٣٢٣ .

٦١ - المصدر السابق ص ٤١٥ .

قال السعدي: " فهما أمران: إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره فثَمَّ الخير والرشد والفلاح. وإما إعراض عن ذلك وتولي عن طاعة الله، فما ثَمَّ إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام "[٦٢].

المطلب الخامس: فساد البيئة

وبفساد الإنسان تفسد البيئة، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الروم: ٤١، وذلك بظهور الأسقام والقحوط ونقص الثمار واستحالة الهواء والمياه، ومن فساد البيئة تلوثها بالمعاصي وانتشارها، سواء أكان ذلك في حياة المجتمع، أم في الإعلان، أم في الاقتصاد، أم في التربية، أم في غير ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " اعلم أن الله سبحانه أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو [أي الشيءُ] عند مبدأ خلقه بريء من الآفات والعلل، تامّ المنفعة لما هيّئ وخلق له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر؛ من مجاورة، أو امتزاج واختلاط، أو أسباب أخر تقتضي فساده، فلو ترك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به؛ لم يفسد.

ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوّه ونباته وحيوانه وأحوال أهله؛ حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام والطواعين والقحوط والجدوب وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها وسلب منافعها أو نقصانها؛ أمورا متتابعة يتلو بعضها بعضا.

فإن لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الروم: ٤١، ونـزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كلَّ وقت في الثمار

---

٦٢ ـ المصدر نفسه ص ٩٣٧ .

والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض.

وكلما أحدث الناس ظلما وفجورا أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم، من النقص والآفات؛ ما هو موجَب أعمالهم وظلمهم وفجورهم "[٦٣].

---

[٦٣] - "زاد المعاد في هدي خير العباد" ٣٣٢/٤ .

الخاتمــة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وقد أتم علينا نعمته بتمام هذه الدراسة التي كانت أهم نتائجها كما يلي:-

- الفساد ضد الصلاح، وله في لغة العرب معانٍ كثيرةٌ ، وحده الجامع لتلك المعاني هو: خروج الشيء عما كان عليه من الاعتدال والسلامة، قليلا كان الخروج أو كثيرا .
- مصطلح (الفساد) في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف عليه في أذهان عامة الناس، من أنّ كلمة الفساد تعني عدم الالتزام الشرعي، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الأحكام الشرعية، التي تتعلق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء الفرائض وسوء الأخلاق وما شابه. إن المعنى الذي يطرحه القرآن الكريم لهذا المصطلح، أوسع بكثير مما هو متعارف عليه في أذهان عموم الناس.
- هناك شبه تلازم في القرآن الكريم بين مصطلح (الفساد) وبين كلمة (الأرض)، وإذا قمنا بعملية إحصائية بسيطة، فسوف نجد أن الكتاب الحكيم استخدم كلمة (الفساد) وتصريفاتها بحدود خمسين مرة، وفي جميع هذه الاستخدامات كان يرد اسم الأرض أو إشارة إليها، ما عدا إحدى عشرة مرة لم يرد فيها ذكر الأرض؛ لان الاستعمال كان في معرض وصف عمل المفسدين وعاقبته.
- تنوع أسلوب القرآن الكريم اللغويلبيان مظاهر الفسادومنها : أسلوب الاستفهام والشرط والنهي والتوكيد...إلخ .
- إن عواقب ممارسة الفساد وخيمة و طريق الهلاك وفناء الحضارات، وهو أيضا جريمة يعاقب الله عليها بعقاب عاجل أو آجل، شرعي أو قدري، نفسي وجسدي واجتماعي ومنها : الحرمان من نعم الله ، والهلاك والدمار ، والشقاء في الدنيا والآخرة ، وإبطال العملوخيبة الأمل ، وفساد البيئة .
- من وقع في شيء من هذا الفساد وجب عليه أن يبادر بالتوبة إلي الله قبل فوات الأوان وإلالن ينفعه الندم إلا بعد فوات الآوان.
- ضرورة اهتمامالدعاة والمصلحين في هذا الزمان ببيان الفساد وأنواعه مع التحذير من الوقوع في أي شكل من أشكاله ومظاهره.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت .

٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت ١٩٧٣.

٣. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت ط ثانية ١٣٩٥.

٤. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض ط ثانية ١٤١١.

٥. بدائع الفوائد، تأليف: محمد ابن قيم الحوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد مكة ١٤٢٥، رقم (١) من سلسلة (آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال)، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت ط ثانية ١٤١٤ (التراث العربي رقم ١٦، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام).

٧. التحرير والتنوير (تفسير)، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية تونس ١٩٨٤م.

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية ١٤١٠.

٩. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار القبلة جدة ١٤١٩.

١٠. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٠.

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتناء: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي الدمام ط ثانية ١٤٢٦.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي القاهرة ٢٠٠٨م.

١٣. جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف: محمد بن عبد الرحمن الإيجي، تعليق: محمد بن عبد الله الغزنوي، مراجعة: صلاح الدين مقبول أحمد، دار غراس للنشر والتوزيع الكويت ١٤٢٨ .

١٤. الجامع لأحكام القرآن، تأليف: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٧.

١٥. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، د.ت .

١٦. الداء والدواء، تأليف: محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج: رائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد مكة ١٤٢٩، رقم (١٧) من سلسلة (آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال)، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد.

١٧. درء تعارض العقل والنقل، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٢.

١٨. ذم الهوى، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تصحيح: أحمد عبد السلام عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٤١٣.

١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ط ثالثة ١٤٠٨.

٢٠. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد مكة ١٤٢٩، رقم (١٤) من سلسلة (آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال)، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد.

٢١. شرح نهج البلاغة، تأليف: عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ط ثانية ١٣٨٧.

٢٢. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد بن عبد الله الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، دار رمادي للنشر الدمام ١٤١٧.

٢٣. صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق وتعليق: محمود فاخوري، تخريج: د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة بيروت ط ثالثة ١٤٠٥.

٢٤. العشرات في غريب اللغة، تأليف: أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية عمان ١٩٨٤م.

٢٥. الفساد الخلقي في المجتمع أسبابه آثاره علاجه في ضوء الإسلام، تأليف: د. ناصر بن عبد الله التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٢٣ .

٢٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير،تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة بيروت ط ثانية ١٣٩١.

٢٧. القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت ط ثامنة ١٤٢٦.

٢٨. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تأليف: أيوب بن موسى الكفوي، اعتناء: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤١٩.

٢٩. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، اعتناء وترتيب: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط ثانية ١٤١٨.

٣٠. مجلة البحوث الإسلامية، تصدر عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، مقال: (حرمة الإفساد)، للمفتي العام عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، العدد (٧٥) سنة ١٤٢٦.

٣١. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة القاهرة ١٤٢٣.

٣٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٤٢٥.

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم بيروت ١٤٢٣.

٣٤. المخصص، لابن سيده؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤١٧.

٣٥. المدهش، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق : د. مروان قباني، دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٩٨٥م.

٣٦. معالم التنزيل، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتعليق: خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت ١٤٠٦.

٣٧. معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة، تأليف: أحمد بن مصطفى الدمشقي، دار الفضيلة الرياض.

٣٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٤.

٣٩. المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دارالمعارف بمصر ط الثانية ١٣٩٣.

٤٠. المفردات في غريب القرآن، تأليف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم دمشق ١٤١٢.

٤١. منهاج السنة النبوية، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦.